

باب التوبى والتعلم

﴿ امالى دينية - الدرس ١٢ ﴾

م (٣٤) العلم - معنى العلم بديهي في نفسه وأعم تعريف له انه انكشاف الشيء للمستعد له ويسمى الشيء المنكشف معلوماً ومن انكشف له عالماً واذا كان متعلق العلم كثيراً سمي عالماً وعلماً ولم يرد اطلاق لفظ «المعلم» على الله تعالى في القرآن الا مضافاً الى المعلوم كقوله «عالم الغيب والشهادة» وورد «علامة النيوب» وأما لفظ «عليم» فهو الذي كثر اطلاقه عليه تعالى بصيغتي التعريف والتكثير لان وزن فيعل يدل على الصفات الثابتة كما تعلم من التفسير في الباب الآتى قال تعالى «وهو الخلاق العليم» وقال «وهو بكل شيء عليم»

كل فعل يصدر من فاعل يشتق له من اسمه وصف يحمل عليه وان من الافعال ما له مبدأ خاص ثابت في نفس الفاعل لا يصدر الفعل الا عنه ومنها ما يستند الى مبدأ عام مثال الاول الرحمة والعطف على البائس ومثال الثانى المشي فانه يستند الى القدرة وليس له مبدأ خاص في نفس الماشى . وان من الافعال ما اذا حصل يثبت ويستمر كالعلم ومنها ما ينقطع كالشم والاعطاء فله مبدأ خاص في النفس واستقرار فيها جدير بأن يسمى صفة ذاتية وما ليس كذلك حقيق بان يسمى صفة فعل والذين دققوا في تفسير الالفاظ قالوا ان العلم كما يطلق على انكشاف الشيء للعالم فعلاً يطلق ايضاً على مبدأ هذا الانكشاف ومصدره في النفس علمت حقيقة او لم تعلم

وكل هذا ظاهر بالنسبة للانسان

اما الذى قام عليه البرهان من علم الله تعالى فهو انه بكل شىء عليم وان هذا العلم ثابت له ازلاً وابدأً فهو المحيط بجميع المعلومات قبل وجودها وبعده وعلته بها قبل وجودها يسمى علم النيب وبعده وجودها يسمى علم الشهادة وهو سبحانه « عالم النيب والشهادة وهو العزيز الحكيم » وما زاد على هذا من البحث في ان لعلم الله تعالى مبدأً قائماً بنفسه تعالى وتقدس فهو اشبه بقياس الواجب على الممكن والقديم على الحادث وهو الذى ادى بالتكلمين الى الحيرة ومصارعة الشبهات لان القول بان الصفات الذاتية كالعلم والارادة لها وجود مستقل قائم بالذات بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها (كما قال بعض المجتهدين في تقليد المتأخرين) يقتضى تعدد الواجب وقد اراد بعضهم الخروج من هذه الشبهة فقال ان صفات الذات عين الذات وُردَّ عليه والجمهور على انها ليست عين الذات ولا غير الذات . ولم يكلفنا الله تعالى بشىء من هذه الابحاث الفلسفية وانما كلفنا بان نعتقد انه بكل شىء عليم والبرهان العقلى يدل على هذا وقد تعذر على حكماء العالم اكتناه حقائق الممكنات فكيف نحاول اكتناه صفات الواجب القديم « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

م (٣٥) اما البرهان على علمه تعالى فحسبك ما ارشد اليه الكتاب العزيز بقوله « ألا يعلم من خلق » بلى فان العقل لا يتصور ان صانع آلة الساعة ومبدعها غير عالم بها وبكل ما يتوقف عليه اختراعها وعملها من العلوم والفنون ولا ارى من حاجة للاطالة في الاستدلال هنا اذ لا يوجد في العالم من يثبت وجود خالق للكون وينكر ان علمه بكل شىء محيط

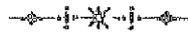
والجمال واسع لمن يريد السباق في هذه الطلبة لاسيما لمن له وقوف على العلوم الطبيعية من جماد وسائل وغاز وحيوان وعلم الهيئة الفلكية فان جميع العوالم والكائنات التي يبحث عنها في هذه العلوم قائمة بنظام كامل مبني على اساس الحكمة ولها سنن ونواميس ثابتة اهتدى اليها الباحثون الى بعضها فحارت عقولهم في هذا الابداع ودلهم ما علموا منها على صدق قوله تعالى « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » فان الجاهل المطلق لا يخطر في باله ما ينبغي ان يعلم فيتوهم انه يعلم كل شيء وكلما اهتدى الانسان الى مسألة من مسائل العلوم الصحيحة تفتتح له بها كوة في العالم يشرف منها على كوى كثيرة يتحقق ان وراءها مشاهد عظيمة تتوقف على فتحها فيزداد علماً بجهله ويطلب المزيد ومن ثم ورد في الحديث الشريف « منومان لا يشبعان منهنوم العلم ومنهنوم المال » وقد لاحظ الامام الشافعي رضى الله عنه هذا المعنى فقال

كلما ادبني الدهر راراني نقص عقلي

واذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

واذا كان الانسان اكمل المخلوقات عاجزاً عن ادراك كل هذه الحكم والاحاطة بجميع هذا النظام فهل يصح ان يكون مصدر ذلك من هو دونه في العقل فضلاً عن « حركة المادة » التي يهذى بها الماديون وما هي الا عرض لا يصح في العقل ان يكون مصدر هذا النظام البديع ما شد غفلة هؤلاء الماديين اذ قالوا ان حركة المادة هي الفاعلة والمدبرة لهذه العوالم من النقايعات (الميكروبات) التي يعيش الملايين منها في نقطة صغيرة من الماء تسبح فيها وتتفدى وتتوالد على اكل نظام ولها اعمال تعجز عنها الرجال فان جحافلها تكرر على الانسان وغيره فتفتلك به

ما لا يفتك المكسيم والموزير وتؤثر في كل حيوان ونبات - الى الحيوان
والانسان الذي حارت الافكار في حكمة كل عضو من اعضائه لا سيما
المشاعر فان العين مؤلفة من طبقات ورطوبات ولها من الرباطات
والاوردة والشرايين والاشكال الهندسية والالوان الموافق كل ذلك لسنن
النور ونواميسه بحيث لو تغير وضع من اوضاعها لاختلت وظيفتها وذهب
الابصار فهل هذا كله من فعل حركة المادة ام هو فعل الدائم الحكيم ؟



﴿ الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٤) من هيلانه الى اراسم في ٢٠ ستمبر سنة ١٨٥

إخالي فهمت طريقتك في تربية النفس وأراني سر تاعة من عظم
العمل المهورد الى به والصعوبات التي تعترضني في سبيل اتمامه لان امر
الطفل بفعل ما يجب عليه فعله اهون بكثير من تصفح الاشياء لايجاد
ما يبعثه منها الى صالح الاعمال على اني سأحاول العمل على هذه الطريقة
فاني على يقين تام من ان الكلام والنصائح والمواعظ لا تكفي لتهديب
الطبع وتقويمه بل اني قد وصلت من هذا اليقين الى حد ان احدث
نفسى بأن في التبكير بتلقين الطفل بعض المواعظ وايداعها ذاكرته خطأ
من شأنها ونقصاً من قيمتها مهما كانت حسنة مفيدة فانه يسهل عليه بذلك
الاعتیاد على تلمس الفضيلة من الكلام واعتبار الوجدان استاذ مدرسة .
على اني الى الآن لم ابلغ مع (اميل) هذه الدرجة فاني لو كلمته في
علم الاخلاق لأثيته بلا شك في غاية العجز عن فهم ما اقوله ولكنه على

صغره له دين كما يدل عليه اتخاذه اللب التي يغطها آلهة يخصصها بفرط محبته ومزيد عنايته فلو انى اردت من الآن تغيير الاحوال المقارنة لسنة وفطرتة في بضع سنين لاضمت وقتي عبثاً ولما نجحت الا في تبديل تماثليه باوثان اخرى

لا تزال عواطف « اميل » في غاية القصور كما رأيت فأصبت في رأيك . على ان للاطفال مها كانوا صغارا حاسة عجيبة يفرقون بها بين الصحيح من انواع ميل الناس اليهم وعظفهم تليهم والموه منها فهم يحبون من يحبهم وقلما ينجذعون بضروب الرياء والاستمالة وانواع التدليل والملاطفة ومما يشهد لذلك انى في معظم اوقات زيارتى للسيدة وارنجتون الاق عندها امرأة ترملت في شبابها وهي تزعم انها تعشق الاولاد عشقاً وتقول لم لم يهب لى الله (سبحانه) ولو ولداً واحداً وتدعى انها كلما فكرت في ذلك كاد يغمى عليها والكني في ريب من ان قلبها كقلوب الامهات لان « اميل » لا يطبق النظر اليها

لامنصر لنا من الانفعال بما يحيط بنا من المؤثرات الخارجية كما تقول والا فما السرفى اننى احب التنزه في طريق مخصوص كلما تلقيت مكتوباً من مكاتيبك وكيف انت بمض الاشجار يجذبني اليه ويدعوني الى تفيئه والجلوس تحته في حال ثوران اشجاني خاصة وبماذا افسر ما اجده من الارتباط بين رؤيتى لصخرة وما احس به اذ ذاك من نقص في عزمى ووهن في ثباتى . فلا شئ يطابق جميع حالات النفس ويلائمها سوى البحر تلى ما ارى . اه